

الفصل الثاني

* في مكثه وثباته وبقائه.

الآيات

- ١ - ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾
(الانعام : ٣٠)
- ٢ - ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ مِنَّا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾
(الاعراف : ٤٣)
- ٣ - ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ ذُنُوبُهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ مِنَّا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾
(الاعراف : ٥٣)
- ٤ - ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ

الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿

(يونس : ٣٠)

٥ - ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ
زَبْدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ
مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ
جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ
الْأَمْثَالَ ﴿

(الرعد : ١٧)

٦ - ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ
الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿

(الانبياء : ١٨)

٧ - ﴿ وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَإِنَّا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا
ظَالِمِينَ ﴿

(الانبياء : ٩٧)

٨ - ﴿ ذَلِكَ يَأْتِي اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ
دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿

(الحج : ٦٢)

٩ - ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ

فِيهِمْ بَلَّ آتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾

(المؤمنون : ٧١)

١٠ - ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴿١١٦﴾

(المؤمنون : ١١٦)

١١ - ﴿ يَوْمَذِيْقَبْهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾

(النور : ٢٥)

١٢ - ﴿ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

(القصص : ٧٥)

١٣ - ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدَّعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾

(لقمان : ٣٠)

١٤ - ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِي الْبَطْلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾

(سبأ : ٤٩)

١٥ - ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾

(الزمر : ٦٩)

١٦ - ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(الزمر : ٧٥)

١٧ - ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَابِتٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَأِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾

(غافر : ٧٨)

١٨ - ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾

(ق : ١٩)

١٩ - ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾

(ق : ٤٢)

٢٠ - ﴿ الْحَاقَّةُ ١ الْحَاقَّةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣ ﴾

(الحاقة : ١-٣)

٢١ - ﴿ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا ﴾

(النبا : ٣٩)

من الأشياء التي قد يغفل عنها الناس - وهم يتقلبون في زينة الحياة - ثبات الحق ومكثه وبقاؤه، وزوال غيره. وقد تقودهم الغفلة عن هذه الحقيقة إلى اتباع الباطل في ساعة استدراج له وإملاء. ثم يفجؤهم زوال ما اتبعوه وقيام ما غفلوا عنه. وعندئذ يعلمون أن ما تعلقوا به من غير الحق باطل لا يمكث ولا يبقى. وأن الحق وحده هو الذي يدوم ويبقى. والله هو الحق وما يُدعى من دونه هو الباطل.

والأشياء التي تحق تستمد وجودها من الله الحق وتدين له ولا تدين لغيره . فالثابت في ألوهيته تدين له الأشياء التي تحققت بقدرته ولا قدرة لاحد غيره في خلق أو رزق .

﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾

(النحل : ٢٠)

﴿ هَلْ مِن خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَأَن تَوَفُّكُونَ ﴾

(فاطر : ٣)

إن أحدا غير الله لا يُخلَقُ شيئا بل يُخلَقُ ولا يملك رزقا بل يُرزق .
من هنا يعرف ما للحق من ثبات ونفع ومكث وبقاء . وأن به يكون الخلق والموت والنشور وما أعد من جنة أو نار وكل ذلك لا يكون إلا بالحق .

﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾

(آل عمران : ٦٠)

وقد ينكر الناس الحق ويحجدونه في فترة عمر أو ساعة غفلة - ونكران الحق لا يعنى غيابه وجحوده لا يعنى فقدانه - وسرعان ما تراهم - وقد أبصروه - يلومون أنفسهم ويتحسرون ويقولون في أسف وندم :

﴿ قَد جَاءَتْ رُسُلٌ مِنَّا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا
أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ
عَنَّهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾

(الأعراف : ٥٣)

وجدوا الحق ولم يجدوا غيره وكانوا قد جحدوه من قبل وأنكروه .

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ

﴿ وَرَبَّنَا قَالِ فَذُو قُوًّا أَلْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾

(الانعام : ٣٠)

وكانوا قد قالوا من قبل وقد خطبوا به :

﴿ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾

(الانعام : ٢٩)

وهاهم اليوم يجدون الحق الذي أنكروه- ﴿ أليس هذا بالحق ﴾ ؟ أى أليس هذا المعاد بحق وليس بباطل كم كنتم تظنون ؟ ﴿ قالوا بلى وربنا ﴾ .

اقرار بشبوت الحق ووقوعه بعد إنكاره وجحوده :

﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾

(الاعراف : ٤٤ - ٤٥)

لقد خطبوا بالحق في دنياهم . وفى الحق من الاستقامة والعدل ما فيه فأبوا إلا الكفران به والصد عنه والميل إلى الباطل واتباع سبله . وهاهم وقد رأوا وقوع الحق - كما خطبوا به وأخبروا عنه - يطلبون العود للعمل به ويتمنون ذلك فلا يجابون :

﴿ وَقَالُوا أَمْ تَأْتِيهِمْ وَأَنْتَ لَهُمُ التَّنَاوُسُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾

(سبا : ٥٢ ، ٥٣)

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكَذَّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا
وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَأْتُم مَّا كَانُوا يَمْخُفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا
لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾

(الانعام: ٢٧ ، ٢٨)

﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ
الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَقْتِرُونَ ﴾

(يونس : ٣٠)

﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا
كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ٥٣ ﴾ وَيَسْتَنْشِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قَلِيلٌ أَمْ وَرَبِّي
إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾

(يونس : ٥٣)

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا
النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ٥٤ ﴾ إِلَّا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْإِنَّ
وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(يونس : ٥٤ ، ٥٥)

حق واقع . تأسى نفوس لوقوعه . وقد أنكرته من قبل وفرطت وضيعت وتسرى نفوس
وقد آمنت به وعملت وهديت إلى صراط مستقيم .

حق واقع . لا يزاخه باطل . يعلن جاحدوه الإيذان به وقد كانوا من قبل يستعجلونه
استخفافاً بشأنه وإنكاراً لوقوعه . فلما وقع - ﴿ قالوا آمنا به ﴾ -

﴿ أَشْرًا إِذَا مَا وَقَعْنَا مِنْكُمْ بِهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَتَسْتَعِجِلُونَ ﴾

(يونس : ٥١)

كما قال فرعون عندما أدرکه الغرق ﴿ آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ - فكان جديرا أن يوبخوا وأن ينكر عليهم إيمانهم بعد فوات الأوان . كما وبخ فرعون . ﴿ الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴾

﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَسَكَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۗ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾

(غافر : ٨٤ ، ٨٥)

ولم تكن شواهد الحق ودلائله قد غابت عنهم أو خفيت عليهم حين خوطبوا به بل هي قائمة فيهم ومن حولهم تبين لهم وتدعوهم في غير توقف أو انقطاع . ولم تكن آيات الحق بمعزل عن حياتهم يخاطبون بها ولا يجدونها بل هي فيهم خلقا ونفعا وحياة وموتا . آيات الحق فيهم في تسخير شمس وقمر وليل ونهار . وزروع وثمار . ولا ينفك شيء من شئونهم عن آية حق . ودلالة صدق .

﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ ۚ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾

(الرعد : ١٧)

وهل تقوم حياة بغير ماء ؟ وهل تبقى بغير حق ؟ . وهل يمكث في الأرض إلا ما ينفع الناس ؟ وهل يفنى ويذهب إلا الزبد والباطل .

إن المثل الذى ضرب ما ضرب إلا لبيان ثبات الحق ومكثه وبقائه . وقد ضرب بما هو قائم في حياة الناس وليس بعيدا عنهم . فالماء هو الماء لم يتغير ولم يتبدل منذ أن خلق الله الخلق وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . والحق هو الحق لا يتبدل ولا يتغير يخاطب به آدم عليه السلام كما يخاطب خاتم الرسل عليه أفضل الصلاة والسلام . ولا يكون عند رسول غيره عند رسول آخر . بل هو ثابت لا يتغير . لا يميل مع الناس ولا يتبع أهواءهم :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ

إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء : ٢٥)

ما من رسول إلا وقد جاء بالحق وصدق من قبله . ومن كذب واحدا منهم فقد كذبهم جميعا . ومن قال في واحد منهم فقد قال فيهم جميعا :

﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّا لِلتَّارِكِ وَأَءِ الْهَتَنِ الشَّاعِرِ تَجْنُونَ ﴾ ٣٦ ﴿ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ

وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (الصفات : ٣٦ ، ٣٧)

﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ ٦٦ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ

بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كِرَهُونَ ﴾ ٦٧ ﴿ وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ

أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ ٦٨ ﴿ بَلْ

أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾

(المؤمنون : ٦٩ - ٧١)

الحق ثابت . لا يميل ما كثر لا يذهب . ولو أتبع أهواء الناس لفسدت السموات والأرض ومن فيهن . ويخطيء من يظن أن ملك الله يتأثر بفساد مفسد . وأن السموات والأرض تتغير بتغير نفوس الناس . وفسادهم في البر والبحر على أنفسهم به يؤخذون . ويبقى الحق ويهلكون وينتصر الحق . وعبث الناس لإفساد الماء أو تغيير فطرته لاحق

هم . ويبقى الماء طهورا متجددا يُقذف زبد المفسدين . وينبت الله به أجيالا وأجيالا وهو هو مبارك تقوم به الحياة ويجعل منه كل شىء حى . ومن أَرادَه على غير ما أنزله الله لم يستطع ولم يجد لغيره أثرا لحياة . ومن أنزل الحق هو الذى أنزل الماء هذا يُقذف به الزبد ويمكث فى الارض لينفع الناس . وذاك يقذف به الباطل ويبقى لتأمن به الحياة ويعرف من يخاطب به الغاية والمصير ولا يفقده فى موت أو نشور . بل تأتيه سكرة الموت بالحق . ويأتيه البعث بالحق . ويساق من يُلقَى فى النار بالحق . ويقضى بين الخلائق جميعا بالحق . فلا يتوقف أمر الحق على نفع الناس فى الأرض فحسب . بل هم به حيث كانوا فى دنياهم أو أخرهم . فأى شىء أثبت من ذلك وأبقى . وأنفع وأدوم . وهل يكون ذلك إلا للحق ؟ .

ألا إن الايمان ببقاء الحق حرى ألا تنخدع معه النفس بزبد الباطل أو تستخف باملأته واستدراجه أو تؤخذ بإغواء شياطينه . فإن الباطل محكوم عليه بالذهاب والفناء . وللحق وحده الثبات والبقاء . ومن اتبع الحق سلم به ومن اتبع الباطل هلك معه :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴾

(محمد : ٣)

هؤلاء كَفَرُوا الله عنهم سيئاتهم وأصلح بهم ، واولئك تعسأهم وأضل أعمالهم وعندئذ لا ترى لاتباع الباطل تماسكا ولا ثباتا بل ترى بعضهم يبرأ من بعض ويلعن بعضهم بعضا :

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي ﴾

(ابراهيم : ٢٢)

﴿ كَلَّمَادَخَلَتْ أُمَّةٌ لَمَنَّا أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آدَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا
قَالَتْ أُخْرِبُهُمْ وَلَاؤَلَهُمُ رَبِّنَا هَذَا لِأَنَّا ضَلُّونَا فِيهَا رَبِّهِمْ عَذَابًا
ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا نَعْلَمُونَ ﴾

(الاعراف : ٣٨)

﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ
بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمْ النَّارُ وَمَالَكُمْ مِّن
نَّصِيرِينَ ﴾

(العنكبوت : ٢٥)

لا بقاء للباطل ولا ثبات لاهله . ولا نفع يرجى منه في عسر أو يسر أو شدة أو رخاء .
إنه زبد، والزبد يربو على سطح ماء أو يلصق بمعدن ولا يتنفع بمعدن إلا بعد الخلاص
من زبده ولا يخلص منه إلا بايقاد نار لا بتغاء حلية أو متاع . ولا يقبل الماء أن يخلط به
زبد بل يحملة ليقذف به على شاطئ الحياة ويبقى الماء وحده - كما أنزله ربه - سببا
للحياة : - ﴿ كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع
الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ﴾

ان مكث الحق وبقاءه فيه نفع للناس جميعا - سواء منه ما قامت به الأشياء واقتضت
الحكمة أن يكون . وما نزل من الحق ليكون هدى للعالمين . لهم في هذا وذاك آيات فيها
متاع ومنفعة وهدى وتبصرة .

والخسارة التي تلحق بعض الناس تأتي من التفريط فيما تحقق نفعه وشراء ما لا ينفع
بل يضر بالذى هو خير . :

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت
تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾

(البقرة : ١٦)

ويأبى الحق إلا أن يقدم نفعه حتى لخصومه وأعدائه في فرض العدل شريعة تقام دون نظر لعداوة أو شنان . لهم جميعا نفع في انصاف مظلوم وإمساك ظالم ، لهم حياة في قصاص . وأمن في إيمان . ورحمة في تراحم . ومنفعة في تعاون وتعارف . وكل ذلك من دواعي الحق وما يأمر به .

ومن الحق أن يعرف ماكان من شأن امرأة سقت كلبا فنجت به وغفر الله لها ما كانت عليه . ومن شأن أخرى دخلت النار في هرة حبستها فلا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض .

ومن الحق أن يعرف أن دين الحق رحمة لجميع الخلق . فلا بد أن يمكث ويبقى في فطرة الخلق وأن يولد الناس عليه وإن أميل بعضهم عنه أو ورثوا حقداً عليه . لا بد لاسباب الحياة أن تكون مادامت الحكمة قد اقتضت أن تكون والحق ليس زبدا تقذفه أمواج الحياة . وإنما هو الأصل الذي لا تقوم بدونه الحياة . وما يلصق به من باطل لا بد أن يقذف وما يربو على الماء من زبد لا يلبس أن يذهب . ويبقى الماء سببا للحياة ويبقى الحق في أصلاته قوام كل شيء ومرجع كل شيء .

ومن رام الحياة بغير ماء صار إلى الهلاك . ومن طلب الحياة بغير حق سعى إلى الضلال وأفسد في الأرض بعد إصلاح . ولم ينل من دنياه إلا ما أراد الله أن ينال . ولن يفلت من الحق في جزاء أو حساب :

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
﴿٢٤﴾ يَوْمَ سَيُؤْفَقُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ
الْمُبِينُ ﴾

(النور: ٢٤ ، ٢٥)

ان حكمة الله قد اقتضت أن يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق وذلك يقتضى ثبات الحق وبقاءه ليقدم دائما نفعه وعطاءه .

ومن غفل عن هذه الحقيقة أفاق عندما يتحقق وعد الله أو يقترب وعيده فيدرك أن لا

شىء من أمر الحق يمكن أن يفوت أو يغيب :

﴿ وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ
كَفَرُوا يُنْوِلُنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلَّ كُنَّا
ظَالِمِينَ ﴾

(الانباء : ٩٧)

ولو تدبرنا الكون وما فيه من آيات لرأينا أن الحق هو المنشىء لها والله هو الحق وهو
(الذي أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) . فما ينبغي أن ينظر إلى حركة الحياة كلها إلا من
خلال الحق وأن تبصر بنور الحق وهى دالة عليه وداعية إليه .

﴿ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ
النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ يَأْتِ
اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَتَى مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ
وَأَتَى اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ
لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٤﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ
لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ
السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ
لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ
ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴾

(الحج : ٦١-٦٦)

أرأيت ما كان من الحق وما يكون؟ أرأيت أن الحق مصدر ما تراه من آيات في الأنفس والآفاق؟ وأن لا شيء فيما تراه يمكن إسناده لغير الحق .
 - ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل﴾ . اقرأ هذه الآيات من سورة الحج لترى موضع الآية - ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾ وتدبر مثلها في سورة لقمان . :

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ٢٦ ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾
 ﴿مَا خَلَقَكُمْ إِلَّا لَعَنَافٍ أَنْفُسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ٢٨ ﴿الَّذِينَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ٢٩ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ٣٠ ﴿الَّذِينَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ٣١ ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌّ كَالظُّلُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُوا بِإِنَّا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾

(لقمان : ٢٦ - ٣٢)

أرأيت ما يدل عليه القول - ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾ - ؟ .

وأن الحق هو سبب وجود ماتراه وما تعلمه وما لا تعلمه من أشياء؟ . وأن الحق أحق أن يتبع في كل شأن وفي كل عمل وأن لا نجاة إلا به ولا ثبات إلا له ؟ .

وأن ما في السموات والارض للحق لا للباطل وأن الخلق ما كان عبثا ولن يكون . وأن البعث على الله يسير . وأن الله سميع بصير؟ ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ﴾ وأن ذلك لا يكون إلا بأن الله هو الحق . والحق يأبى أن يكون الخلق عبثا أو باطلا . فلا بد أن يتحقق البعث وأن يجازى الخلق :

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥﴾
فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ
الْكَبِيرِ ﴿

(المؤمنون : ١١٥ ، ١١٦)

أرأيت أن الحق وحده هو الذي يلجأ إليه ويصار إليه ويدعى في الشدة ولا يدعى غيره .

ألا يكون من الرحمة بالخلق أن ينادى الناس جميعا إلى اتباع الحق . وألا يركنوا إلى شىء غيره رغبة في الفوز وطلبا للنجاة .

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتِّقَارًا بِكُمْ وَأَخْشَاءُ يَوْمًا لَا يَمْجُرِي وَالِدٌ
عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ
الْغُرُورُ ۝٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿

(لقمان : ٣٣ ، ٣٤)

أرأيت أن هذا النداء جاء بعد بيان للحق وما يؤديه في حياة الخلق وأن قوله :
 ﴿ ذلك بأن الله هو الحق ﴾ - تعليل لكل ما يدعى إليه الإنسان من حق . وسبب لكل
 ما هو قائم في حياة الخلق وما يصيرون إليه وما يحاسبون عليه . أرأيت أن لاشيء يجزى
 عن الانسان من والد أو ولد . وأن نجاته لا تكون إلا بالإعداد ليوم الحق :

﴿ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا ۗ ﴾

(النبا : ٢٩)

واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده . إنه اليوم الحق ولا نجاة فيه إلا لمن اتبع الحق .
 أرأيت أن الحق هو المتصر في كل موطن . وأنه الثابت في كل حال . وأن لاشيء
 يبقى غيره . ولا شيء يغنى عنه ؟ وأن الأشياء كلها كانت به ولم تكن بغيره . إن القلب
 ليخشع وهو يتدبر قوله تعالى : ﴿ ذلك بأن الله هو الحق ﴾ - .
 في السورتين : سورة الحج وسورة لقمان . ويرى موردها وما جاء قبلها وبعدها من
 آيات . فيرى أن حركة الحياة كلها مدينة للحق . وأن لاشيء من قبل ومن بعد يمكن
 أن يفلت من حكم الحق . ومن الإقرار به والاعتراف له والجزاء عليه .

﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ
 بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

(الزمر : ٦٩)

﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
 رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(الزمر : ٧٥)

ومن أسماء القيامة « الحاقه » سميت بها لانه يحق فيها وعد الله بالبعث ، والجزاء بل
 يحق فيها كل ما هو حق . كما سميت « الواقعة » لان وقوعها حق لا مرية فيه :

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۗ لَيْسَ لَوْقَعِهَا كَاذِبَةٌ ۗ ﴾
 (الواقعة : ١ ، ٢)

ان القضاء الحق بين جميع الخلق عميق الدلالة في إثبات ما للحق من شأن وما له من بقاء . وإنه لمن الخداع للنفس أن يتوهم متوهم أن أحداً يفلت من قضائه أو يفر من الإقرار بالحق والاعتراف بالحمد . وما الساعة في عظم شأنها إلا من أجل الحق . وهي حق . وبها يعرف أن الحق في أى شأن لا يهزم ولا يضيع وأن الدقة في موازين العدل لا تدع شيئاً مهما صغر أو دق :

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً
وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا
حَسِيبِينَ ﴾

(الانبياء : ٤٧)

وفي ذلك دلالة على مكث الحق وبقائه وأن الذين يتوهمون ذهابه أو ضياعه يفجؤهم في العاقبة وجوده وحضوره وإحقاقه وانتصاره :

﴿ وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ
مِنْهُمْ أَحَداً ۗ ﴿٤٧﴾ وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ حِثَّمْنَا كَمَا
خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً ۗ ﴿٤٨﴾ وَوَضَعَ
الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُؤْتِيَنَّا
مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا
أَحْصَيْنَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَداً ﴾

(الكهف : ٤٧ - ٤٩)

عندئذ يدرك الذين اعتدوا على أصحاب حق في الدنيا أنهم قد ظلموا أنفسهم وخسروها ولم يخسر أصحاب حق حقهم بل وجدوه أوفى وأبقى :

﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۗ ﴿٦٩﴾ وَوَقَّيْتُ كُلَّ نَفْسٍ
مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾

(الزمر : ٦٩ - ٧٠)

لما بين تعالى أنه يوصل لكل ذي حق حقه عبر عن هذا المعنى بأربع عبارات أولاها :
قوله وقضى بينهم بالحق . الثانية : وهم لا يظلمون . . الثالثة : ووفيت كل نفس ما
عملت . الرابعة : وهو أعلم بما يفعلون^(١) .

وفي حضور الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم والخلائق يقضى
بينهم بالحق . فيه ما فيه من دلالة على تكريم الحق . في مشهد يخشع فيه جميع الخلق
لكلمة الحق وتلهج الالسنه لله بالحمد على القضاء بالحق . كما أفتح الخلق بالحق يحنم
بالقضاء بالحق وكما افتتح بالحمد يحنم بالحمد . . . ﴿ الحمد لله الذى خلق السموات
والأرض وجعل الظلمات والنور ﴾ . ﴿ وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب
العالمين ﴾ .
والخلق منه والعود إليه سبحانه . والحق منه والقضاء بين يديه سبحانه .

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ
وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ
وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

(التغابن : ٣ ، ٤)

ومن الله الحق يستمد كل حق ، مكثه وبقائه وإنصافه ووفاءه فلا يهزم حق ولا يزهق .
ولا يضع أو يذهب . بل يذهب ما عداه ويهلك ما ناقضه أو جفاه .

﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى
تَصْرَفُونَ ﴾

(يونس : ٣٢)

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَبْ مَا يَدْعُونَ مِنْ

(١) الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية : تأليف : سليمان بن عمر العجيل الشافعي الشهير
بالجمل : المتوفى ١٢٠٤هـ .

دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿

(الحج : ٦٢)

﴿ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ
فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿

(القصص : ٧٥)

